« تسمع كلامه »

تأليف: جيمس ل. ماي

كان لعازر صديق يسوع وأختيه مرثا ومريم يسكنون في بيت عنيا خارج أورشليم بقليل، عندما يمر يسوع بذلك الطريق كان يقيم عندهم. وفي إحدى زياراته، رحبت مرثا بيسوع وتلاميذه في بيتها (لوقا ١٠: ٣٨-٤٢). ربما أرادت أن تسمع ما كان سيقوله يسوع، ولكنها كانت « مرتبكة في خدمة كثيرة » (آية ٤٠).

كان من عادات ربات البيوت أن يعدن الطعام لضيوفهن بينما يجلس الرجال في غرفة منعزلة عن المطبخ. لم تدخل النساء عادة في الغرفة التي يتحدث فيها الرجال إلا لتقديم الخدمة أو لتأدية بعض من واجباتها. كانت مرثا تفعل ما تطالب بها العادات، كانت تحاول أن تكون مضيفة كريمة وفكرت بانه كان على مريم أن تفعل هكذا أيضاً. لا بد أن مرثا انذهلت عندما رأت مريم جالسة عند قدمي يسوع تسمتع إليه. ربما لم تذهل مرثا فقط لأنها رأت مريم جالسة في الغرفة مع الرجال بل أيضاً لأنها اهملت واجبها في المساعدة في إعداد الطعام لهم.

قالت مرثا ليسوع وهي منزعجة بسبب سلوك مريم: « يا رب أما تبالي بأن أختي قد تركتني أخدم وحدي؟ فقل لها أن تعينني! » (آية ٤٠). تشير إجابة يسوع إلى انه كان يهتم بالغذاء الروحي أكثر من الاهتمام بالغذاء الذي كانت مرثا تعده. إذ قال: « مرثا مرثا أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة. ولكن الحاجة إلى واحد. فاختارت مريم النصيب الصالح الذي لن يُنزع منها » (الآيتين ٤١ و٤٢). لا بد أن « النصيب الصالح » الذي اختارته مريم كان هو تناول طعام كلمة الله. لم يكن اهتمام مرثا سيء. إذ كانت تفعل ما هو متوقع منها عادة. ولكن اهتمام مريم كان الأعظم. لم يفكر يسوع في ان تذهب عن الاستماع إلى كلامه (آية ٣٩). هذه ليست المرة الوحيدة التي وضع فيها يسوع الطعام الروحي فوق الطعام المادي. بعد حديثه مع المرأة السامرية عند البئر، أتى تلاميذه إليه بطعام، فقال لهم: « أنا لي طعام لآكل لستم تعرفونه أنتم » (يوحنا ٤: ٣٢). وفيما بعد قارن نفسه ورسالته بـ« خبز الله ... النازل من السماء الواهب حياة للعالم » (يوحنا ٦: ٣٣). كان هو الخبز الذي نزل من السماء (يوحنا ٦: ٤١).

الله يتكلم اليوم

معظم التعابير عن العبادة التي درسناها حتى الآن هي الطرق التي بها يتكلم العابد إلى الله. طبعا نحن نتلقى استجابة عاطفية وشخصية في الصلاة والتسبيح والعشاء الرباني؛ ولكن لا يتكلم إلينا الله بأية طريقة ملموسة حتى عند القراءة من الأسفار المقدسة أو الكرازة أو التعليم.

في بعض الأماكن اليوم، يكون هناك ضغط لأجل التقليل من وقت الكرازة أو الدرس. قد يوجد الحق في التفكير بان الوقت المحدد للكرازة يجب أن يعادل الوقت المقضي في الترنيم والصلاة والعشاء الرباني، وفي الوقت نفسه لا يجب التقليل من أهمية اعطاء فرصة لله ليتكلم للعُبَّاد. لا تكون العبادة مكتملة حتى يكون هناك طريق ذو اتجاهين في الاتصال.

منذ أيام موسى أصبحت الكرازة وسيلة اختارها الله ليكشف بها عن مشيئته للناس. نجد في سفر التثنية تطبيق موسى الشعائري للناموس قبل موته. لم تتم تلاوة الناموس فحسب، بل تفسيره أيضاً وتطبيقه في حالات

معينة مناسبة في ذلك الزمان. أرسل الله الأنبياء بالتكرار إلى شعبه ليدعوهم إليه مرة أخرى بواسطة الكرازة. في بعض الأوقات في التاريخ عندما ينسى الناس قراءة الناموس ويمتنعوا عن الاستماع إلى أصوات الأنبياء، يسقطون في أظلم أوقات الردة. وقد استمر واحد من تلك الأوقات المظلمة لمدة سبعين سنة بالنسبة ليهوذا.

بعد سبعين سنة من العبودية في بابل، أقام الله زربابل وعزرا ونحميا ليرجعوا شعبه إلى أورشليم ويبنوا الهيكل ويجددوا الحياة القومية والروحية. عندما توقف العمل، أرسل الله النبيين حاجي وزكريا ليدعاهم ليرجعوا إلى العمل (عزرا ٤: ٢٤—٥: ٢). لما كان هناك التجديد لو لم يكن هناك الرجوع إلى كلمة الله.

في تلك الأيام لم تكن لكل بيت نسخة من كلمة الله المكتوبة. كان يتم طبع النسخ باليد بغاية الجهد. وكان عددها قليلة جداً وبحوزة الكتبة وقادة الدين. عندما كان شعب الله في بابل، قضوا زماناً طويلاً لم يسمعوا فيه كلمة الله. عندما انتهى بناء سور أورشليم، دُعي الشعب العائد من السبي للاستماع إلى الناموس. وقف ثلاثة عشر رجلاً مع عزرا ليترجموا ويفسروا الناموس عند قراءته، لكي يفهمه الشعب. قرأ عزرا من الصباح حتى منتصف النهار، وكان الشعب منتبها. عندما سمعوا قراءة الكلمات بكوا . من الواضح ان كلمة الله أبكتت قلوبهم وأقنعتهم بانه يجب عليهم أن يقبلوا مشيئته (نحميا ٨: ١-٩).

تُرى أهمية الكرازة في الحقيقة أن ابن الله كان مبشراً. وكان رسله أيضاً مبشرون. تم هداية أول المسيحيين إلى المسيحية بالكرازة (أعمال الرسل ٢). كانت المأمورية الأخيرة التي أعطاها يسوع هي ان يذهبوا ويتلمذوا، ويعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصاهم به (متى ٢٨: ١٨-٢٠). أكد بولس الرسول بانه أُرسل ليبشر (١ كورنثوس ١: ١٧) لأنه «استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة» (١ كورنثوس ١: ٢١). كانت الكنائس (وما زالت) تنتشر بواسطة التعليم والتبشير.

جميع الأدوار التأهيلية التي وضعها الله في الكنيسة (الرسل والأنبياء والمبشرون والرعاة والمعلمين؛ أفسس ٤: ١١) كلها أدوار التبشير والتعليم. قال بولس لتيموثاوس: «اكرز بالكلمة، اعكف على ذلك في وقت مناسب وغير مناسب. وبّخ انتهر عظ بكل أناة وتعليم» (٢ تيموثاوس ٤: ٢). التقليل من التبشير أو التعليم هو التقليل من الطريقة التي بها تُسمع صوت الله.

انارة طريقنا

قد نظن بانه كانت هناك حاجة شديدة إلى التبشير بالكلمة في الأيام التي سبقت كتابة العهد الجديد بصورته الكاملة. كانت الكنيسة ناشئة، وكان هناك الكثير لتعليمه. كان الله يوحي بكلمته بواسطة الرسل والأنبياء الموحى إليهم. وكان الناس يتوقون إلى الاستماع، ولكن كانت لهم فرص قليلة فقط ليسمعوا ما كان يقوله الله.

هل الحاجة إلى كلمة الله صارت قليلة؟ هل التقليل من الكلمة المنطوقة قد يقودنا إلى فترة ظلام أخرى من الردة؟ هل التقليل من الكلمة المنطوقة سيحسن عبادتنا أو يقربنا إلى الله؟ قال داود: «سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي» (مزمور ١١٩: ١٠٥). المرور بالحياة كالمرور بحقل الألغام ليلاً. قد وضعت علامات أو لافتات على طول الدرب المأمن، ولكن هناك الحاجة إلى إضاءة جيدة للمرور بالأمان. أنحاول أن نشق طريقنا خلال حقل الألغام بنور باهت أو بلا نور أبداً؟ أريد نوراً ساطعاً يجعلني أرى بوضوح تلك العلامات وأُكشف أي خطر قد يحاول العدو أن يضعه أمامي! النور الوحيد الذي يقودنا خلال هذا المسلك هو كلمة الله. من يحاول الذهاب بأمان خلال الحياة من غير هذا النور، يكون غير مؤهل أبداً.

من إحدى الأفاعي المفزعة جداً في بعض المناطق في إفريقيا هي الأفعى النافخة. من النادر أن تُرى هذه الأفعى في النهار ، بل تخرج في الليل. هذا المخلوق النافخ يجر جسمه بجهد عظيم ويمر بالدرب الذي يمر به الناس.

من النادر ان تلدغ الأفعى النافخة أو تهاجم إن لم يؤذيها أحد أو شيء، وأحياناً عندما يمر أحدا بالدرب في الليل دون ان يرى طريقه يطأ عليها. لا يُحتمل أن يموت الضحية نتيجة للدغ الأفعى النافخة، ولكنه قد يفقد ساقه أو رجله. بسبب الالتهاب الذي تسببه اللدغة حيث يندمل الجرح المتسبب عنها بصعوبة جداً؛ أحياناً تكون الطريقة الوحيدة للتخلص من السم هي بإستئصال العضو المصاب من الجسم. يكون الشخص الذي يمشي في الدرب ليلاً في خطر إن لم يكن يحمل مشعلاً أو بطارية جيب، أو إن لم يكن القمر ساطعاً بما فيه الكفاية ليضيء الطريق أمامه. من الناحية الروحية، يجب أن تشعل العبادة مشاعلنا وتشحن بطاريتنا وتشعل مصابيحنا. لا شيء يحقق هذا كالقراءة من الكلمة خلال وقت العبادة.

انعكاس طبيعتنا الحقيقية

لقد رأينا انه عندما سمع يهوذا {الشعب} الذي تم إحياءه قراءة وتفسير كلمة الله (نحميا ٨) بكوا. تفسر رسالة يعقوب ١: ٢١-٢٥ لماذا يبكي البعض ولا يبكي البعض الأخر عندما تقدم لهم كلمة الله. كلمة الله ليست فقط نافذة نرى الله من خلالها والنور الذي يرشدنا عند رحلتنا في درب الحياة، ولكنها أيضاً مرآة تعكس طبيعتنا الحقيقية. عندما نقبل « بوداعة الكلمة المغروسة القادرة أن تخلص »، نكون « عاملين بالكلمة لا سامعين فقط ». ومن ناحية أخرى، الشخص الذي يكون « سامعاً للكلمة وليس عاملاً ... يشبه رجلاً ناظراً وجه خلقته في مرآة »، ويمضي للوقت وينسى ما رأى (يعقوب ١: ٢١-٢٤). مع أن الكلمة تعكس طبيعته، إلا انه لا يهتم. لا قناع له ولا اعتزام لتصحيح الأخطاء، لا دموع الندم على حالته. عندما سمع شعب الله قراءة الناموس رأوا أنفسهم كما كانوا حقاً ولم يرضوا بما رأوا. حزنوا بسبب الحقيقة حيث انهم لم يحفظوا وصايا الله. النور نفسه الذي يضيء طريقنا يكشف عن أخطاءنا. انه يضيء علينا كما يضيء أيضاً الطريق أمامنا. كلما اقتربنا إلى النور كلما انكشفت أخطاءنا. يمكن أن نتجنب النور لنخفي عيوبنا أو نقترب إلى النورلكي نميزها ونعطيها للرب ليصححها. العبادة بتبشير أو تعليم الكلمة تعرضنا للنور.

نضوج إيماننا

تقول الرسالة إلى أهل رومية ١٠: ١٧: « إذاً الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله ». الإيمان الحقيقي بالله يأتي فقط من معرفة كلمته. في صلاته لله من أجل تلاميذه قال يسوع: « كلامك هو حق » (يوحنا ١٧: ١٧). كان المسيحيون العبرانيون متهمين بعدم النضوج لأنهم كانوا عديمو الخبرة في كلام البر (عبرانيين ٥: ١٣). كان كاتب الرسالة إلى العبرانيين قد قال لهم سابقاً: « لذلك يجب أن ننتبه أكثر إلى ما سمعنا لئلا نفوته » (عبرانيين ٢: ١).

بدون التعرض الدائم لكلمة الله لا يمكننا النمو في الرب. الكلمة هي طعام النفس. معرفة ابن الله هي وحدها قد تأتي بنا إلى مستوى النضوج المرغوب فيه « إلى قياس قامة ملء المسيح » (أفسس ٤: ١٣). قال بولس:

> كي لا نكون في ما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم بحيلة الناس بمكر إلى مكيدة الضلال. بل صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح (أفسس ٤: ١٤ و١٥).

العبادة بقبول الكلمة هي طريقة جيدة جداً للنضوج في الرب.

الخلاصة

يطلب بعض المسيحيون أحياناً « التقليل من الكرازة والمزيد من العبادة ». ما يتضمنه ذلك الطلب هو أن الكرازة أو التعليم شيءآخر غير العبادة. الكرازة التي حسب الكتاب المقدس يجب اعتبارها جزء من العبادة. يجب أن تأتي جماعة المصلين بالجو الايجابي لقراءة واعلان الكلمة. التعليم والتبشير بكلمته يجب أن يجدا قبولاًعظيماً في قلوب عبَّاد الله المنسحقة.

بعد ما حكى يسوع مثل الزارع، فسر

لتلاميذه أن « الزرع {أي البذار} هو كلام الله » (لوقا ٨: ١١). يجب تسمية هذا المثل بـ« مثل القلوب ». لم يكن يسوع يحدث حقاً عن زرع البذار، بل كان يتحدث عن نوع القلب المطلوب لقبول البذار. يُزرع البذار في أي مكان، ويقع في مختلف أنواع الأرض التي تمثل أنواع القلوب المختلفة. الأرض الجيدة أو القلب الجيد هو الذي يقبل البذار ويسمح له ان ينبت وينتج. ينبغي أن يكون هذا قلب عابد الله الصادق.

النصوص التي تتحدث عن العبادة

في البحث عن الإجابة لأسئلتنا عن العبادة وكيفية القيام بها، أولاً يجب أن نضع في الاعتبار أين نذهب لنجد الأجوبة. إذا أردنا لعبادتنا أن ترضي الله، فلا بد أن نذهب إلى كلمته للإسترشاد بها. وأيضاً لا يجب أن ننسى أن إرشادات العهد الجديد عن العبادة أُعطيت بصفة خاصة للمسيحيين.

عندما بحثتُ عن إرشادات للعبادة في الأسفار المقدسة، اكتشفتُ أن الكتاب المقدس لا يقول إلا القليل جداً عما قام به المسيحيون الأوائل في اجتماعات العبادة. التوجيه الأكثر شمولاً في العهد الجديد عن التجمع العام هو جهود بولس للإجابة على أسئلة طرحها المسيحيون في كورنثوس (١ كورنثوس ١١-١٤). تذكر رسالة يعقوب القليل عن التصرف في الكنيسة (يعقوب ٢: ١- ١٣)، ويخبرنا أعمال الرسل ٢٠: ٧ بانه عندما اجتمعت الكنيسة التي كانت في ترواس لكسر الخبز، خاطبهم بولس حتى نصف الليل. ترشدنا الرسالة إلى العبرانيين ١٠: ٢٥ أن لا ننقطع عن الاجتماع معاً.

كان يسوع والمرأة السامرية عند البئر يفكران في العبادة الجماعية عندما تحدثا عن المكان المناسب الذي يعبد فيه الناس الله (يوحنا ٤: ٢٠-٢٤). وفي هذا السياق قال يسوع: « الله روح، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا » (يوحنا ٤: ٢٤). لم يُقصد بهذا أن تكون قائمة كاملة بنصوص العهد الجديد التي تتعامل بصفة خاصة مع العبادة الجماعية، ولكنها النموذج.

عادة ما نطبق نصوص مثل الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ٢: ٨-١٢؛ الرسالة إلى أهل أفسس ٥: ١٩؛ الرسالة إلى أهل كولوسي ٣: ١٦؛ وأعمال الرسل ٢: ٤٢ على امثلة في ممارسات العبادة الجماعية. من المحتمل جداً ان بولس كان يشير إلى العبادة الجماعية في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ٢: ٨-١٢. إذا كان الحديث بصفة خاصة عن العبادة الجماعية في كل من هذه النصوص أم لا، فالمباديء التي تم تعليمها في هذه الآيات تطبق على عبادتنا اليوم.

الاقتراب إلى الله

« فإذ لنا أيها الإخوة ... كاهن عظيم على بيت الله، لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا بماء نقي » (عبرانيين ١٠: ١٩-٢٢).

الذين يرغبون في الاقتراب من الله ينبغي أن يدخلوا إلى حضرته بطريقة ملائمة:

١. « *بقلب صادق* »: كلام الشفة لا يفي بالغرض (متى ١٥: ٨؛ أنظر أمثال ٤: ٢٣). ينبغي أن نتقدم إلى الله بقلب أمين بدلاً من قلب كاذب.

٢. «*في يقين الإيمان*»: تعلمنا الرسالة إلى العبرانيين ١١: ٦؛ وغلاطية ٢: ٢٠؛ ٥: ٦؛ ويعقوب ١: ٦ أن نتخلص من الشكوك ونبني حياتنا على الإيمان.

٣. «*مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير*»: حالما نطيع وصايا الله ونتصالح معه ستجد ضمائرنا الشريرة الفرج (١ بطرس ٣: ٢١).

٤. «*ومغتسلة أجسادنا بماء نقيء*»: هذه معمودية التي تخلصنا من خطايانا (١ بطرس ٣: ٢٠ و٢١؛ أعمال ٢٢: ١٦؛ يوحنا ٣: ٢٣؛ أعمال ٨: ٣٦-٣٩).

نسخة معدلة من «بذار للزارع» تأليف ليروي براونلو

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧